الأسرة والصحة النفسية للطفل ذو الاحتياجات الخاصة
دراسة عيادية ميدانية

د. فاطمة الزهراء مشتاوي
جامعة الجزائر2

ملخص:

تتمحور مشكلة البحث في إطار هذه الدراسة حول الكشف عن أهمية الصحة النفسية للطفل ذو الإحتياجات الخاصة وعلاقتها بدور الأسرة.

تحاول الباحثة تسليط الضوء عن أهمية التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالصحة النفسية، وعلاقة الطفل ذوي الإحتياجات الخاصة داخل المحيط الأسري.

لدراسة ومناقشة الفرضيات حاولنا أن نتطرق إلى الجانب النظري لأراء الباحثين، وركزنا في الجانب الميداني على دراسة الحالات تمثلت عينة الدراسة في كل الحالات التي طالبت بمساعدة المختص النفسي فيما يخص سلوك الطفل أو إضطراباته النفسية وهناك حالات التي جاءت لطلب المساعدة والمرافقة النفسية مباشرة فيما يخص الإضطرابات العلائقية.

واعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج العيادي الذي يعتبر من المناهج التشخيصية، وهو منهج يقوم على أخذ الفرد في موقف معين أو على أنه حالة فريدة تتطور وتتأثر بالعوامل النفسية والاجتماعية.

اعتمدت الباحثة تقنيات البحث الخاصة بالمنهج العيادي الذي يعتبر من المناهج التشخيصية، وهو منهج يقوم على أخذ الفرد في موقف معين أو على أنه حالة فريدة تتطور وتتأثر بالعوامل النفسية والاجتماعية، وأدوات الدراسة تمثلت في: شبكة الملاحظة العيادية، مقابلة نصف الموجهة مع الأسرة والطفل ذوي الاحتياجات الخاصة، ومقياس أساليب المعاملة الوالدية (EMBU) من إعداد باريس وآخرون (1980). تكونت عينة الدراسة من 51 أسرة لديها طفل دوي احتياجات الخاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة من 09 سنوات إلى 13 سنة (المرحلة الإبتدائية) تمت دراستها في عيادة خاصة بالتكفل النفسي.

الكلمات المفتاحية:

الأسرة، الصحة النفسية، الطفولة المتأخرة، الطفل ذو الاحتياجات الخاصة.

مقدمة:

إن نمو الطفل في شتى مجالاته الاجتماعية والمعرفية واللغوية مرتبط بنشاط الأسرة ومدى توفيرها للتجارب الفعلية للطفل من أجل ممارسة السلوكات وتنميتها يتطلب نمو الطفل عند (Wallon) اشتراك عوامل داخلية وأخرى خارجية، تتمثل العوامل الداخلية في إستعدادات الطفل وقدرته على التعلم، أما العوامل الخارجية فهي الظروف التي توفرها له الأسرة لتنمية قدراته وتحقيقها، ومنه فإن دراسة إضطراب النمو لدى الطفل، سواء كان عادياً أو معاقاً ذو الإحتياجات الخاصة، تقتضي الإحاطة بالمحيط والنشاط الأسري الذي يعيش فيه الطفل.

إن اختيار هذا الموضوع والمتمثل في الأسرة وعلاقتها بالصحة النفسية لدى الطفل دو الاحتياجات الخاصة كان نتاجاً لممارستنا الميدانية ولملاحظة بعض المشكلات السلوكية لدى بعض الأطفال دوي الاحتياجات الخاصة:

-هناك اضطرابات علائقية تظهر بوصفها أسبابا في عدم إمكانية توحيد الجهود داخل الأسرة وإشتراك أفرادها في مساعدة الطفل ذو الإحتياجات الخاصة.

- هناك خلافات بين أفراد الأسرة تؤدي إلى عدم الإتفاق في كيفية التعامل مع الطفل ذو الإحتياجات الخاصة.

وبالرغم من المحاولات والحصص العلاجية المتخصصة التي أبدت نتائج إيجابية لبعض الأطفال، ومن جهة أخرى رغبت أفراد الأسرة في مساعدة الطفل من خلال تساؤلاتهم حول أسباب لجوء الطفل ذو الاحتياجات الخاصة.

انطلاقاً من **التساؤل الرئيسي** الذي مفاده: إلى أي مدى يمكن للمحيط الأسري الذي يعيش داخله الطفل ذو الاحتياجات الخاصة أن يؤثر على نموه النفسي، اللغوي، المعرفي والاجتماعي هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن للكفالة المتخصصة أن تجلب للأسرة نتائج إيجابية؟

تستند الدراسة إلى **فرضية عامة:**

هناك علاقة وطيدة بين التنشئة الاجتماعية المتبعة داخل الأسرة وعلاقتها بالصحة النفسية لطفل ذو الإحتياجات الخاصة.

الفرضيات الجزئية:

1/ الاضطرابات العلائقية داخل الأسرة تؤدي إلى عرقلة النمو النفسي لدى الطفل ذو الاحتياجات الخاصة.

2/ الأسرة التي تعتمد على علاقة الحوار والإتزان الإنفعالي تساهم في السلوك السوي للطفل ذوي الاحتياجات الخاصة.

3/ الشعور بالتقبل بحالة الطفل دو الاحتياجات الخاصة داخل الأسرة تنمي لديه القدرة على مواجهة الضغوطات والأزمات والتغلب عليها.

الخلفية النظرية لمشكلة الدراسة:

قمنا بطريقة الدمج Integration والتكامل Complémentarité بين مدرسة التحليل النفسي والمدرسة السلوكية اللتين شكلتا أوسع تيارين نفسيين ويعتبران أكثر التيارات النفسية المعاصرة ازدهاراً في تناول المشاكل النفسية لدى الطفولة ذو الاحتياجات الخاصة.

- أهمية الدراسة:

لقد بدأ الاهتمام بالجانب النفسي للأفراد من طرف الباحثين والمختصين في مختلف المجالات فلا غنى للنفس عن صحة الجسم ولا غنى للجسم عن صحة النفس وبأن العناية النفسية للطفل ذو الاحتياجات الخاصة عامل أساسي في الاندماج والتكيف داخل المجتمع.

- أهداف الدراسة:

- اكتشاف الأبعاد والانعكاسات النفسية والسلوكية من جراء الاعاقة.

- تحسيس المعنيين بالأمر عن أهمية العناية بالصحة النفسية والجسدية للتخفيف من حدة الإعاقة ولفسح الأمل أمام الطفل دو الاحتياجات الخاصة.

- منهجية البحث:

المنهج المستخدم في البحث هو المنهج العيادي لأنه يتماشى مع طبيعة الفرضيات المطروحة مسبقاً وعلى ضوء ذلك تم القيام بالمقابلات العيادية نصف الموجهة مع الأسرة والطفل ذوي الاحتياجات الخاصة، شبكة الملاحظة العيادية، تقديم مقياس أساليب المعاملة الوالدية (EMBU) من إعداد باريس وآخرون (1980).

وفي هذا الصدد تقول فيكا شنتوب (Vica Shentoub. 1985) بأن الفحص النفسي قد يكون أكثر مصداقية إ ذا كانت المقابلة العيادية متنوعة باختبار إسقاطي أو أكثر وهذا ما تسميه بالفحص الكامل.

- تحديد المفاهيم:

- الصحة النفسية:

الصحة النفسية باللغة الانجليزية psychological health

و هي مجموعة الاجراءات و الطرق التي يتبعها الفرد في المحافظة على الصحة النفسية حتى يتمكن من ايجاد الحل المناسب للمشكلات التي تواجهه و تعرف ايضا بانها قدرة الفرد في التعامل مع البيئة المحيطة به و تغليب حكم العقل على الانفعالات الناتجة عن التاثر بالعوامل التي تدفعه للغضب او القلق و غيرها من الاضطرابات النفسية.

مدرسة التحليل النفسي على راسها سيجموند فرود (1987) عرفت الصحة النفسية بانها القدرة على القيام بالعمل ما دام الفرد لا يعاني من اي اضطراب يمنعه من القيام بذلك. **المدرسة السلوكية** واطسون (1995) تعد الصحة النفسية بان الفرد يختار السلوك المناسب التي تواجهه بالاعتماد على الافكار الاجتماعية التي اكتسبها من الاسرة التي يعيش فيها، اما **المدرسة الانسانية** و يمثلها العالم ماسلو(1972) تعتبر الصحة النفسية امتلاك الانسان الشخصية السوية التي تساعده على التعامل مع الاحداث و تختلف عن الشخصية الغير سوية العاجزة على التعامل بشكل جيد مع الاحداث المحيطة بها.

- الطفولة المتأخرة:

وهي المرحلة التي تمتد من سن التاسعة حتى سن الثالثة عشر من العمر وتنتهي هذه المرحلة ببلوغ الطفل ودخوله مرحلة مختلفة كثيراً عن سابقتها وهي مرحلة المراهقة.

- ذوي الاحتياجات الخاصة:

المقصود بذوي الاحتياجات الخاصة، حسب ما جاء في عمل حسن الخطيب (2016) الاتجاهات التربوية الحديثة تستخدم **ذوي الاحتياجات الخاصة** بدلا من مصطلح **معوقين،** لان المصطلح الثاني يعبر من الوصم بالاعاقة و مالها من اثار نفسية سلبية على الفرد. كما ان هناك دراسات معمقة مستمدة من علم النفس و الاجتماع و التربية ان المسميات قد تكون ذات اثر معوق، لذا يتوجب على المختص في الميدان الحذر عند استخدام المصطلحات التي نلسقها بالافراد الذين مساعدتهم.

يفضل استخدام مصطلح او مفهوم **ذوي الاحتياجات الخاصة** كبديل لمصطلح **المعاقين.**

ذوي الاحتياجات الخاصة هي فئة كبيرة من الافراد الذين ينحرفون عن المستوى العادي او المتوسط الى الدرجة التي تحتم احتياجهم الى خدمات تعليمية و تربوية خاصة و تستلزم ترتيبات و اوضاع و ممارسات تعليمية معينة لاشباع هذه الاحتياجات.

صاحب الاحتياجات الخاصة هو الفرد الذي فقد قدراته على مزاولة عمله او القيام بعمل نتيجة لقصور بدني او جسمي او عقلي سواء كان هذا القصور بسبب اصابته في حادث، و قد يكون هذا الفرد مصاب بعجز كلي او جزئي الى المدى الذي يحد من حواسه او قدراته الجسمية او العقلية او النفسية.

- الأسرة:

يذهب بعض الباحثين إلى تعريف الأسرة على حسب تكوينها، وهناك من يعرفها حسب تشكيلتها، وعرفها دومنيك (P.Dominique. 1998.69) الذي يعتبر الأسرة بأنها مجموعة من المكانات (أب، أم، ولد) ينضبط بعضها على بعض في نسق من الروابط، أين يكون لكل واحد حقوق وواجبات عليه القيام بها.

وهي الخلية الأساسية في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، تتكون الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية وللأسرة حقوق مثل: حق الصحة، وحق التعلم، وحق السكن الأمن كما للأسرة واجبات مثل: نقل التراث واللغة عبر الأجيال، والوظيفة. الأسر تنقسم إلى قسمين 1_الأسرة نووية: وتتكون من زوج وزوجة والأولاد 2_ الأسرة الممتدة: وتتكون من جد وجدة والأولاد والأحفاد.

- التنشئة الاجتماعية الأسرية:

هي الاهتمام بالنظم الأسرية الاجتماعية التي من شأنها أن تحول الإنسان -تلك المادة العضوية- إلى فرد اسري اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بيسر مع أفراد المجتمع. وهي عملية يكتسب الأطفال بفضلها الحكم الخلقي والضبط الذاتي اللازم لهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم.

- العلاج النفسي:

تعتبر عملية العلاج النفسى الجانب النشيط لعلم النفس. تطورت نظريات مدارس علم النفس التى تتفق فى موضوع الدراسة، وتختلف في كيفية تناول هذا الموضوع ففي الستينيات كانت وجهة نظر علم النفس متمركزة على المدارس ثم تطورت فى الثمانينات لتركز على الإضطرابات التى يعانى منها المفحوص. وأصبح يدخل المختص النفسى لمساعدة فرد أو أكثر يأخذ بعين الإعتبار أن مشاكل الطفل هو مشاكل أسرته ككل، فيتم التدخل في دراسة العلاقات بين أفراد الأسرة، التي تتطلب بدورها دراسة وتحليل لنوعية الإتصالات بهم.

الدراسة الاستطلاعية:

بحكم ممارستنا في الميدان العيادي و التعليم العالي بدات فكرة البحث في موضوع الأسرة و علاقتها بالصحة النفسية لدى الطفل ذو الاحتياجات الخاصة تتجسد منذ عدة سنوات ، لكن التجسيد الحقيقي لهذا المشروع الدراسي انطلق منذ 2015، بعد عدة ملاحظات و استشارات ميدانية. قمنا بالدراسة الاستطلاعية خلال الفترة الممتدة ما بين شهر مارس –سبتمبر 2015. كانت العينة الاستطلاعية تشترك فيما يلي:

العمر يتراوح ما بين 5 إلى 13 سنة، الطفولة المتأخرة.

النتائج الاستطلاعية:

لقد تم الاستنتاج من تلك العشر عينات الخاضعة للدراسة الاستطلاعية ان هناك تأثر و تأثير بين الأسرة و الحالة النفسية و السلوكية لدى الطفل ذو الاحتياجات الخاصة. و هذا التأثير يظهر في حالات القلق الإحساس بالنقص أمام الغير و بعض الاضطرابات في السلوك التي تنتاب الحال النفسية لدى الأسرة و الطفل في نفس الوقت.

الدراسة الأساسية:

بعد النتائج المبدئية التي تم الحصول عليها في الدراسة الاستطلاعية، مكننا ذلك من تسطير خطة عمل جديدة مع عينة اكبر و اشمل تمثل واحد و خمسين أسرة لديها واحد و خمسين طفل ذو احتياجات خاصة.

هكذا وقع اتصال جديد بعينة الدراسة في بداية جانفي 2016 و دامت إلى غاية جانفي 2017.

- عرض وتحليل نتائج البحث:

كانت الباحثة تعتمد في بحثها على مجموعة من التقنيات العيادية :

- ملاحظة عيادية
- مقابلة أسرية نصف موجهة
- مقياس أساليب المعاملة الوالدية

الجدول رقم -1- يبين توزيع العينة حسب المشكلات النفسية

لدى الطفل ذو الاحتياجات الخاصة

الأسر	الطفل ذو الاحتياجات الخاصة
10	الخوف
12	الخجل
14	العدوانية التي تكون بارزة بشكل واضح
15	عدم الاستقرار النفسي، الإفراط الحركي
51	المجموع

- تحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالجدول رقم 1:

يمكن تفسير الجدول بأن:

الاسرة: تعد العامل الاول التي تؤثر على الصحة النفسية فعندما يعيش الطفل دو الاحتياجات الخاصة في اسرة مترابطة يتمكن من تكوين شخصية سوية، ذات نفسية معتدلة و خالية من الاضطرابات النفسية، بعكس الفرد الذي يعيش حياة مضطربة في الطفولة نتيجة لوجود خلافات اسرية او عدم وجود اسرة متكاملة، فتصبح نسبة تعرض الفرد للاضطرابات النفسية بنسبة مرتفعة.

المجتمع: ان المجتمع الذي يقوم به الطفل دو الاحتياجات الخاصة يعد من المؤثرات النفسية، عندما يعمل في أجواء مناسبة يكون الفرد مرتاحا نفسيا للقيام بدوره بشكل أفضل، بعكس وجوده في ظروف غير مناسبة.

الجدول-2- يبين توزيع أفراد العينة حسب المقابلة الأسرية نصف الموجهة

الأسر	نوع العلاقة داخل الأسرة
20	علاقة الحماية الزائدة
10	علاقة الإنكار
08	علاقة تتميز بالخلط والارتباك
05	علاقة الإهمال ونقص الإحساس بالمسؤولية
06	علاقة يطبعها التشدد والجمود
51	المجموع

- تحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالجدول رقم 2:

إن حاجة الطفل ذو الاحتياجات الخاصة إلى الآخر، خاصة إذا كانت استقلاليته منعدمة، يتطلب باستمرار تجنيد شخص من الأسرة معه، وغالبا ما تكون الأم، مما يدفعها إلى إهمال مجالات وعلاقات أخرى، كالعلاقة الزوجية أو علاقتها مع الأطفال الآخرين.

إن مرافقة الطفل ذو الاحتياجات الخاصة تتطلب تحمل نظرات وتركيز الآخرين عليه، تساؤلاتهم وتعليقاتهم، ولذلك فإن الإعاقة تحد من العلاقات مع العالم الخارجي، إما بدافع الخجل أو بدافع حماية الطفل من الإحباطات، التي تسببها نظرات الآخرين التي تظهر الشفقة.

الجدول رقم -3- يبين نتائج المتابعة والجلسات النفسية

الاسر	التغيرات
10	العلاقة الزوجية تحسنت
15	توسع مجال التفهم بين أفراد الأسرة -الوالدين والإخوة-
10	سجلت تغيرات جيدة في المجال العلائقي والإتصال التفاعلي
05	أصبح الإهتمام بالطفل ذو الإحتياجات الخاصة وتحسنت السلوكات السلبية
11	انخفاض حالات القلق والخوف على مستقبل الطفل هناك إتزان عاطفي داخل الأسرة

- تحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالجدول رقم 3:

تلعب الأسرة الدور الأساسي في النمو النفسي والاجتماعي لدى الطفل ذو الاحتياجات الخاصة. والأسرة لها دور هام في نمو شخصيته وقد تؤثر إذا كانت العلاقة التي تربطها مع طفلها علاقة سلبية فالكفالة النفسية للأسرة تساعد على تجاوز السلبيات كما تساعد التركيز على طرق تخفيف حدة الضغوطات والمشاكل النفسية.

يتطلب نمو الطفل عند Wallon اشتراك عوامل داخلية وأخرى خارجية تتمثل العوامل الداخلية في استعدادات الطفل وقدرته على التعلم، أما العوامل الخارجية فهي الظروف التي توفرها له الأسرة لتنمية قدراته وتحقيقها.

- خاتمة:

إن الأساليب التي يمارسها الآباء في معاملتهم لأبنائهم دوي الاحتياجات الخاصة تؤثر في تكوينهم النفسي والاجتماعي، وتمثل حجر الزاوية في تكوين شخصياتهم وتكيفهم.

كما أصبح من مسلمات الحاضر لدى العلماء والباحثين والعاملين في مجال الصحة النفسية. أن هذه الأساليب تترك آثار سلبية أو إيجابية في شخصية الأبناء ذوي الاحتياجات الخاصة، وإليها يعزى مستوى الصحة النفسية والتكيف الاجتماعي الذي يمكن أن تكون عليه شخصيتهم في المستقبل، باعتبار المعاملة الوالدية هي إحدى وكالات التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي وتعني كل سلوك يصدر من الأب والأم أو كليهما ويؤثر على الطفل ذوي الاحتياجات الخاصة ونمو شخصيته.

- اقتراحات الدراسة:

- مساعدة الأسرة والطفل عن التعبير عن معاناته ومعايشته لأثر الإعاقة.

- وجوب وجود علاقة اجابية بين الطفل والأسرة.

- العمل على وجود تعاون ثنائي بين الأسرة والمدرسة لمساعدة الطفل على النجاح في دراسته.

- يلعب الوالدين دوراً هاماً في مساعدة الطفل على تجنب المشاكل النفسية، وهدا يتمثل في الاستقرار العاطفي الوجداني عوض عدم الاستقرار وزرع الخوف والقلق.

- توعية شريحة من المجتمع لتحسين تربية أطفالهم على الابتعاد عن السخرية والصحك عن الأطفال دوي الاحتياجات الخاصة لأن هدا يزيد من المشاكل النفسية التي ترجع بالسلب عن المعاش النفسي لدى الطفل وأسرته.

- المراجع:

1- جبل فوزي محمد، 2000، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية،الاسكندرية، المكتبة الجامعية الأزارصية.
2- حسن الخطيب، 2006، ذوي الاحتياجات الخاصة.
3- العناني حنان عبد الحميد، 2002، الصحة النفسية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
4- سامي محسن الختاتنة، 2012، مقدمة في الصحة النفسية، الأردن، عمان.
5- - بركات، احمد. (1967). سيكولوجية الطفل الكفيف و تربيته، القاهرة: المكتبة الانجلو المصرية.
6- - أبو زيد إبراهيمي. احمد. (1987). سيكولوجية الذات و التوفيق، مصر: دار المعارف.
7- -سيد عبيد، ماجدة. (2000). تعليم الاطفال ذوي الحاجات الخاصة، عمان.
8- - الهاشمي، محمد. (1984). اصول علم النفس الحديث، الجزائر.

9- - زبدي،ناصر الدين. (2004). اثر العوامل الصحية و المهنية عن حالة و سمة القلق عند المدرس الجزائري ومظاهره السلوكية، اطروحة دكتوراه الدولة في علم النفس المدرسي، الجزائر: جامعة الجزائر.
10- - مشتاوي، فاطمة الزهراء. (2005). المشاكل النفسية لدى الطفل المصاب باضطرابات بصرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
11- - مشتاوي، فاطمة الزهراء. (2015). دور العلاج الاسري في تخفيف المشاكل لدى الطفل المصاب باضطرابات بصرية، رسالة دكتوراه ، الجزائر: جامعة الجزائر.
12- زيدان، محمد مصطفى. (1988). معجم المصطلحات النفسية و التربوية، السعودية: دار الشروق م.ع.
13- المنجد (فرنسي-عربي). (1987). الطبعة الثالثة، دار المشرق.

14-Dominique PICARD (1998), *Politesse, savoir-vivre et relations sociales*, Paris, Presses Universitaires de France.